مجلة العلوم الإنسانية ـــــــ عدد 19- جوان 2003، ص.ص. 91-110

# أهمية الرعاية الوالدية في نمو وتطور شخصية الفرد

**ملخص**

تتناول الدراسة الحالية عرض وتحليل مجموعة من الدراسات السابقة، حول موضوع الرعاية الوالدية أثرها على نمو وتطور شخصية الطفل بغرض إلقاء الضوء على مختلف جوانب الشخصية التي تتأثر بعملية الرعاية الوالدية بالسلب أو بالإيجاب، وتوجه بدورها السلوك وتحدد الاختيارات والميول والاتجاهات المستقبلية للفرد.

**د/نادية بعيبع**
قسم علم النفس
جامعة باتنة، الجزائر

## 1- الإشكالية

تفتقد عامة الناس إلى معلومات حول أهمية الرعاية الوالدية في نمو وتطور شخصية الفرد.

ويتفق علماء النفس والتربية على أهمية علاقة الأباء بالأبناء، خاصة خلال السنوات الخمس الأولى، وكيف لهذه العلاقة أن تحدد وتتحكم في توجيه سلوك الطفل مستقبليا وهو فرد راشد.

وتؤكد الرعاية الإلهية من خلال التشريع الإسلامي والسنة النبيوية الشريفة على حساسية هذه القضية بالذات، من خلال ضبطها للأدوار وتحديدها للمسؤوليات، مسؤولية الآباء تجاه الأبناء، بل ومسؤولية المجتمع تجاه الأجيال اللاحقة. وصدق رسول الله –صلى الله عليه وسلم- عندما أعطى توجيهات دقيقة، اختصرت كل ما كتب أو سوف يكتب في علم النفس وعلوم التربية، وفي مجال التنشئة الاجتماعية على وجه الخصوص، في قوله "لاعبه (الطفل) سبعة وزينه سبعة وصاحبه سبعا وكلفه سبعا. "والمتمعن لهذا الحديث

**Résumé**

Cet article présente et analyse plusieurs études effectuées en vue de démontrer l'influence et l'importance de l'assistance parentale sur le développement de la personnalité de l'enfant et de l'individu en général. En effet, le support familial favorise l'épanouissement des différents aspects de la personnalité, qu'ils soient physiologiques, affectifs, émotionnels, intellectuels, linguistiques ou socioculturels. De plus, il favorise l'interaction positive entre l'enfant et son milieu.

De nombreuses études abordées dans ce sens ont démontrées avec certitude que le manque d'affection et le rejet maternel ou paternel sont à l'origine des comportements agressifs, de l'échec scolaire et de la crise de rupture avec le monde extérieur, et enfin sur l'aspect conflictuel du processus du développement naturel et global de la personnalité de l'individu en général.

© جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر 2003.

يلاحظ وبكل وضوح حسن انتقاء رسول الله –صلى الله عليه وسلم –للكلمات التي توافق كل كلمة منها مرحلة عمرية محددة، تعكس خصائص وحاجات الفرد خلال فترات نموه المختلفة.

إن التطورات التكنولوجية والتي لا مفر من مواكبتها والتكيف إيجابيا معها،جعلت من هذا العالم الكبير مجرد قرية صغيرة نتبادل فيها المعلومات -كل المعلومات- بواسطة أجهزة الإعلام المختلفة، تحتم على الشعوب الإسلامية خاصة إعادة النظر في طرق اكتشاف وتناول الكثير من مشكلات سوء التوافق النفسي والاجتماعي والمعرفي والمهني من أجل حياة افضل.

"إن الشعوب المسلمة مطالبة في هذا الوقت بالذات، بان تسعى إلى إيجاد تربية إسلامية خاصة بها، تعيد لها هويتها العربية والإسلامية الواحدة المتميزة."(1)

لقد بين لنا التشريع الإلهي والسنة النبوية الشريفة أهمية الأسرة في تكوين وبناء الأجيال حتى قبل إنشائها، من خلال عملية اختيار الزوج أو الزوجة، وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال "تخيروا لنطفكم فان العرق دساس".(2)

وتتضح قيمة الأسرة في كونها توفر للطفل البيئة الإنسانية والاجتماعية المناسبة والتي تتيح له أتقصى حدود درجات النمو لإمكانيات الفرد واستعداداته.

ومن خلال الاطلاع على التراث النظري والدراسات السابقة، حول أهمية الرعاية الوالدية في تكوين ونمو شخصية الطفل، تبين للباحثة بأن الأساليب التي تعتمدها الآسرة، من شأنها أن تؤثر سلبا أو إيجابا على سلوك واختيارات الفرد الأكاديمية والاجتماعية والمهنية.

"إن مرحلة الطفولة لهي المرحلة العمرية الحاسمة في حياة الفرد، والتي ترسى من خلالها دعائم بناء شخصيته، وتتم فيها عملية التأثر والامتصاص لما يحيط بالطفل من خصائص وسمات، مما يساعد على توجيهه وتثبيت نموه المعرفي ونضجه النفسي والاجتماعي فيما بعد، والذي يتوقع أن يكون متلائما مع ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه الطفل، لكي يشب قادرا ومؤهلا للعيش فيه كمواطن صالح متوافق يستطيع أن يفهم ويشارك ويساهم ويألف ويتآلف مع الآخرين، مما يدفع بعمليات الإنماء التربوي لأن تفعل فعلها التربوي على الوجه السليم."(3)

وتلعب الأسرة بصفة عامة دورا كبيرا في تحقيق التوافق الصحيح، خاصة إذا ما تبنت أساليب تربوية ناجعة "ذلك أن الأسرة هي النواة والوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل ويتفاعل مع أعضائها، وهي التي تساهم بالقدر الكبير في الإشراف على نموه وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه."(4)

إن العلاقات الاجتماعية الأولى للطفل مع أفراد أسرته، تحدد خبراته عن الحب والعاطفة والحماية والانتماء وتشعره بقيمته وذاته، وتنمي وعيه بنفسه وتهيئ استعداداته البيولوجية ليتفاعل مع محيطه. وتتم عملية التنشئة الاجتماعية بطبيعة الحال في إطار ثقافة معينة متميزة عن غيرها، بما تتضمنه من لغة وقيم ومعايير سلوكية.

"ونستطيع أن نرجع السمات الأساسية لسلوك الفرد إلى المرحلة الأولى من حياته والى علاقته بأفراد أسرته واتجاهات هؤلاء الأفراد وأنماط سلوكهم، فسلوك أفراد

الأسرة المحيطين بالطفل وتفاعلهم معه، هو الذي يحدد اتجاهات تكوين ذات الطفل ويصبغ شخصيته ويشكلها."(5)

وانطلاقا من المعطيات السابقة، تحاول الدراسة الحالية توضيح الرؤية والقاء الضوء على طبيعة وأساليب الرعاية الوالدية للنشئ، وكيف لها أن تؤثر بالإيجاب أو بالسلب على سلوك الطفل وعلى نمو وتطور شخصيته بصفة عامة.

من خلال عرض الدراسة الحالية لمجموعة من الدراسات العربية، والتي تناولت موضوع الرعاية الوالدية وأثرها على تكوين ونمو شخصية الطفل بالبحث العلمي الدقيق، ثم تحليل نتائجها بهدف الإفادة والاستفادة منها، خاصة الأولياء منهم، لتبني أساليب تربوية سليمة أثناء عملية التطبيع الاجتماعي للأبناء.

## 2- هدف الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلى عرض وتحليل نتائج مجموعة من الدراسات العربية، والتي تناولت موضوع أهمية الرعاية الوالدية الطبيعية في تكوين ونمو شخصية الطفل من خلال:

1- الكشف عن طبيعة علاقة حرمان الطفل من والديه ونموه اللفظي في مرحلة ما قبل المدرسة.
2- الكشف عن علاقة القلق بالرعاية البديلة وأساليب التنشئة الاجتماعية.
3- الكشف عن العلاقة بين غياب الأب والآثار النفسية.
4- الكشف عن العلاقة بين النمو العقلي والجسماني وطبيعة تكوين الأسرة النفسي والاجتماعي.
5- الكشف عن العلاقة بين العوامل الذاتية للحدث ومدى تأثيرها على انحرافه
6- الكشف عن العلاقة بين اتجاهات التنشئة الوالدية والسلوك الاجتماعي للأبناء.
7- إلقاء الضوء على الآثار النفسية والاجتماعية اللاتوافقية للتلاميذ والمترتبة على الحرمان من دور الأب في عملية الرعاية الوالدية.
8- الكشف عن العلاقة بين أساليب التنشئة الأسرية والنمو المعرفي للطفل.
9- مقارنة المشكلات السلوكية التي يتعرض لها أطفال مؤسسات الإيواء.
10- الكشف عن العلاقة بين أساليب التنشئة الوالدية والتنميط الجنسي للطفل.
11- الكشف عن العلاقة بين عدم الاستقرار الأسري وأثرها على السلوك الاجتماعي للطفل.
12- إلقاء الضوء على أثر الحرمان من الرعاية الأسرية على نمو وتطور الذكاء.
13- الكشف عن العلاقة بين أساليب الرعاية والوالدية وفرط النشاط.
14- الكشف عن العلاقة بين الخلافات الوالدية على الحالة النفسية للطفل.

## 3-التنشئة الإجتماعية والنمو اللغوي للطفل

إن وجود الطفل مع أسرته يلعب دورا هاما في نموه اللغوي، فقد ثبت ذلك من خلال

دراسات مقارنة بين أطفال الملاجئ وبين الأطفال الذين يعيشون مع عائلاتهم، حيث ينعدم الدافع الانفعالي في مؤسسات الإيواء. ففي دراسة إكلنيكية قورن فيها بين خمسين طفلا تاخروا في الكلام وخمسين طفلا آخرين تكلموا عند بلوغهم السن المرتقبة، وجد أن الأطفال الذين تألفت منهم المجموعة المتأخرة في الكلام، قد بدا عليهم أنهم أطفال منعزلون، يستسلمون للبكاء بسهولة ولا يثيرون انتباه أو رعاية الآخرين.

ويرى الباحثون في هذا المجال بالذات : " إن الأطفال الذين يلاقون الإهمال الشديد والذين قلت ارتباطاتهم بالكبار يبطئون في تعلم الكلام، وقد يستمر تأخرهم في الكلام خلال الحياة كلها ".(6)

وإذا نظرنا إلى اللغة باعتبارها الاستجابة الاجتماعية الأولى نجد أنها على خلاف ألوان السلوك الحركي، تتطلب بالضرورة وجود تفاعل بين الطفل وشخص آخر. كما أن من بين الأسباب الهامة التي تدعو الطفل إلى تعلم الكلام، رغبته في أن يعبر عن حاجاته للآخرين، بحيث يصبح في مقدوره حين يجوع أن يسأل الآخرين بدلا من أن يضطر إلى الصياح والبكاء.

فإذا لم يجد الطفل من بيئته استجابة لحاجاته، لم تنشأ عنده دافعية قوية إلى نمو المهارة اللغوية، إلى جانب الاستجابات الأخرى، كالابتسام والتعبير والاقتراب من الناس، مما يؤدي إلى تفاعل متكرر متبادل بين الطفل وشخص آخر. ومما يؤثر سلبا على جميع جوانب نمو شخصيته.

ففي الخبرات اليومية التي يتعرض لها الطفل الذي ينشأ في الأسرة تبتسم له أمه وتناغيه، أو تقول له شيئا، فيستجيب لذلك بالابتسام والضحك. ثم تكرر الأم هذا العمل فيستجيب الطفل مرة أخرى بالضحك والرفس برجليه، وأن لمثل هذا النمط المتكرر على الأرجح أهمية كبيرة في حدوث الاستجابة الاجتماعية.

## 4- أهمية التربية الأسرية بالنسبة لنمو وتطور الشخصية

الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل ويتفاعل فيها مع أعضائها. وهي التي تسهم بالقدر الأكبر في الإشراف على نموه وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه. وتسعى الأسرة إلى تحقيق الطمأنينة لأفرادها، حيث ذكر سبحانه وتعالى في آيات كثيرة تدل على ذلك منها.

[ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ](7)

وقال جل شأنه:

[ ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ](8)

وتشير هاتان الآيتان الكريمتان إلى تكوين الأسرة من الزوج وزوجته وجعل بينهم المودة والرحمة. وبذلك ينعكس هذا على الجو الأسري على أبنائها أثناء عملية التربية والتنشئة الاجتماعية. فتكفل لهم الأمن والطمأنينة في حياتهم وتشبع حاجاتهم البيولوجية

والنفسية والاجتماعية، فيؤثر ذلك إيجابيا على جوانب النمو المختلفة لديهم.

ولما كانت الأسرة هي البيئة الاجتماعية الأولى التي يمارس فيها المولود الجديد أولى علاقاته الاجتماعية وذلك من خلال ما تقدمه له من رعاية وحنان وعطف، ثم بعد ذلك تكون لديه العادات والتقاليد وكيفية التعامل داخل المجتمع الكبير، كان لأنماط السلوك الاجتماعي التي يتعلمها في محيطها قيمة كبرى في حياته وتكوين نواة شخصيته.

والحب أولى هذه العلاقات الاجتماعية التي يمارسها الطفل وأهمها جميعا، لأنها تتعلق بعلاقات الود والعطف والتي هي من أهم مميزات الأسرة السعيدة. ويعمل الحب كدافع هام لتعلم كثير من الاتجاهات الاجتماعية التي تحدد علاقة الصغير بالمجتمع، والتي يتشربها عن قصد عن طريق مجموعة الأوامر والنواهي، وعن غير قصد عن طريق التقليد والمحاكاة والتوحد بهم. ويقصد بالتربية الأسرية، كل ما يدور في هذه النواة من مظاهر تعلم ونشاط، فهي محور الحياة الذي يحتوي على الحاجات العضوية والنفسية الأساسية التي تعمل على تهيئة المناخ الملائم لنمو الطفل الجسمي والنفسي والاجتماعي.

وأي تفكك في هذه الرابطة الوجدانية والاجتماعية ينتج عنه كثير من المشكلات السلوكية والإحباطات النفسية، والشعور بالعجز والانهزام. وكذلك نجد أن عدم التفاهم وفقدان الوالدين بالطلاق أو بوفاة أحدهما أو زوال دعائم الأسرة كلها بوفاة كلا الوالدين، ينعكس على حالة الطفل الانفعالية وحالته المزاجية، فيعاني من التوتر والقلق والتمزق النفسي كنتيجة طبيعية للتمزق الأسري الذي يعيش فيه، وعليه " فإن الرعاية التي تحيط الأسرة طفلها بها هي السند الأكبر لنمو واكتمال كل وظائفه النفسية والجسمية. وتساعده هذه الوظائف على تكوين مكانته الخاصة في المجال الاجتماعي، لا بالنسبة للآخرين فقط، ولكن بالنسبة لتقديره السوسيومتري لنفسه أيضا ".(9)

مما سبق يتضح لنا أن الأسرة هي البيئة الأولى التي تمثل العامل الحاسم في عملية الميلاد الثاني للطفل كجماعة أولية. Primary Group، حيث تهيئ استعداده البيولوجي والنفسي ليغدو لبنة صالحة متهيئة لعملية التنشئة الاجتماعية، التي تكسبه ثقافة الجماعة ونظمها وحكمتها.(10)

و في مجال اللغة مثلا الملاحظ أن الطفل يتعلم لغته في محيطه الأسري، والأسرة في الواقع غير متخصصة بالضرورة في علم اللغة وأقسامه، من علم الفونولوجيا (Phonologie) وعلم التركيب وعلم الدلالات. وليست متخصصة أيضا بطرق تعليم اللغة، كما أنها لا تفكر أبدا بوضع برنامج تعليمي لتدريس أطفالها اللغة. وبالتالي فهي من البديهي أنها لا تقوم بدور تعليمي صرف. إن اللغة الأم لا تعلم. فالمدرسة في الحقيقة تعلم قراءة اللغة وكتابتها، أما اكتساب اللغة فيتم بصورة طبيعية في مرحلة سابقة لدخول الطفل المدرسة.(11)

إن دور العائلة هو دور توسيعي، فالكبار يرددون أحيانا جمل الصغار، وبهذه الطريقة يغيرون الجمل باتجاه أقرب إلى الجمل التي تعادلها في لغتهم. وبمعنى آخر يقومون بتوسيع لغة الصغار وتشجيعها باتجاه الاندماج في لغة الكبار، وبالتالي يسهلون

عملية اكتساب اللغة للطفل من خلال عرض نماذج جاهزة، تساعد في تقبل المعلومات اللغوية وفهمها، وتطوير ملكته الذاتية وتنميتها، وذلك فيما يتعلق بالخصائص المميزة للغة محيطه.(12)

**5- الأمومة السوية وأثرها على نمو وتطور الشخصية**

إن علاقة الطفل بأمه تبدأ منذ المرحلة الجنينية، وتنمو هذه العلاقة عندما يحس نعومة ثديها، وحينما تضمه إلى صدرها، فيشعر بالدفء والحنان الطبيعيين، إلى أن يصل إلى التمييز بأن هذا المخلوق هو " الأم " ويدرك " أمومتها " الطبيعية التي لا يرضى عنها بديلا، وعلى العكس من ذلك نجد أن الأطفال اللقطاء، والذين ينشأون في مؤسسات خاصة بهم، والذين عادة ما تشرف على كل مجموعة منهم مربية بديلة عن الأم، ومهما كان عطفها وحنانها، فإنه يكون أقل بكثير من عطف الأم الحقيقة. لأن حنان المربية وعطفها يكون موزعا على عدد كثير من الأطفال، ولذا ينشأ الطفل من غير أن يشعر بعاطفة الأمومة الطبيعية ودفئها وقوتها، ويفقد بذلك أساسا قويا من أسس الشعور بالأمن والاطمئنان والانتماء للأسرة الصغيرة المتكاملة العميقة في مشاعرها.

كما ثبت علميا أن رضاعة الطفل من ثدي أمه، تمنحه الحنان والثقة والأمان. وأن التصاقه بها لمدة خمس وأربعين دقيقة له أثره الفعال في تقوية العلاقة بين الأم وأبنها. فعملية الرضاعة عملية نفسية جسمية في آن واحد. ولها دورها في النمو النفسي للطفل من حيث اتزانه الانفعالي واضطرابه الوجداني. ولكي نبيّن أهمية العلاقة بين الأم وطفلها، نجد أنها ليست مجرد إشباع الحاجات العضوية فقط، بل نجد أن الأم تستمر في العطف والعناية بطفلها حتى بعد أن تنتهي من حضانتها له بوقت طويل، ذلك أن الطفل يرى في الأم دوافع أخرى غير دوافع الأمومة، ويجعلها تشعر بأن لها أهمية وقيمة حين ترى أن حياته تتوقف عليها، وهنا تقوى علاقة الحب بينهما فكل يشبع في الآخر دوافع معينة.

ولقد دلت البحوث التجريبية التي أجريت في مجال تنشئة الأطفال، على أن الطفل يتأثر كثيرا بشخصية الأم وصفاتها العامة وأسلوبها في المعاملة في مراحل حياته الأولى. ذلك لأنها بطريقة شعورية أو غير شعورية، تعبر في تعاملها مع طفلها على علاقتها العاطفية معه من حيث درجة ثباتها، ومدى رعايتها له أو ضعف هذه الرعاية ومدى فهمها لحاجاته، ومدى الاستجابة لهذه الحاجات.

إن الأم في علاقتها بوليدها لها أكبر أثر في تماسك شخصيته أو اضطرابها في مختلف جوانب نموه العام. فالطفل يعتمد على أمه منذ ميلاده اعتمادا كليا طوال السنوات الأولى لإشباع حاجاته البيولوجية والنفسية. ووظيفة الأم لا تقتصر على الإنجاب فقط أو تقديم الطعام وحده، بل هي تمنح الإبن أشياء أهم من ذلك، فتزوده بالحب والاطمئنان والراحة وكل ذلك من دعائم التكيف والتوافق الإيجابي داخل الجماعة.

أما بالنسبة لتأثير الأم على عملية النمو اللغوي مثلا، فقد يكاد يكون من المؤكد أن

ارتقاء اللغة عند الطفل لا يشكل عملية مستقلة عن المحيط اللفظي للطفل حيث يتشكل من كل الأشخاص الذين يتكلمون من حوله، إلا أن هؤلاء الأشخاص لا يلعبون جميعهم بالطبع دورا متساويا في عملية الاكتساب.

"فالذين يؤثرون في ذلك فعليا هم ليسوا أولئك الذين يتكلمون من حول الطفل فحسب بل والذين يحتلون موقعا رئيسيا ومباشرا في عالمه عن طريق تأمينهم إشباع حاجاته".(13)

ولا شك أن الأم تحتل من هذه الزاوية موقعا متميزا، ولابد من ملاحظة أنماط علاقتها اللفظية مع الطفل، وأن تجري مقارنات بين هذه الأنماط من العلاقات، وبين تطور اللغة عند الطفل، وأفضل مكان يتم فيه هذا النوع من الملاحظات هو المحيط الطبيعي للسلوك الإنساني، والذي يتمثل في مواقف الحياة اليومية داخل البيئة الأسرية.

ويمكن لنا أن نلخص النموذج اللفظي الجيد، بذلك النموذج الذي تقوم فيه الأم بالنطق بوضوح، واستعمالها للجمل القصيرة والبسيطة والتي تلائم عمر ابنها ومستوى تطوره. واستخدامها للكلمات والجمل التي تتناسب بدقة مع كلمات الطفل وجمله. كما تعلمه كلمات جديدة. وكذلك الاختلاف بين الأشياء والمفاهيم المتقاربة وتزوده بردود أفعال آلية للأثر اللفظي. فهي في كل هذا تقوم بتعليمه دون أن يدري في جو من البهجة والسرور المتبادل إلى جانب ذلك فلابد أن يتدرج هذا التعلم تحت أسلوب المكافأة والتعزيز. وذلك عندما تقترب من الطفل في مداعبته، وتتدخل فورا لتخفيف آلامه، وتضحك معه وتطربه وتكافئه بالقبل...إلى آخر ذلك. فالعلاقة الطبيعية والسوية المتبادلة تؤدي حتما لنمو طبيعي وسوي أيضا.

إن الوالدين هما مصدر العطف ومبعث الاطمئنان. فإذا فقد أحدهما بالوفاة أو بسبب الطلاق أو لأي سبب آخر، فإن من شأنه أن يؤثر على نمو الطفل نتيجة لما يتبع ذلك من تغيير في المعاملة والحرمان من العطف.

فالطفل يولد بطبيعته ضعيفا لا حول ولا قوة له، ولا بد من وجود على الأقل شخص ينفرد بخدمته، لأنه كلما كان مستوى الرعاية أكثر تركيزا، كلما كان نموه سليما.

### 6- أثر الإيداع بالملاجئ على النمو العام للطفل

إن الحاجة إلى العطف والحب والطمأنينة من الحاجات النفسية الأساسية للطفل منذ ميلاده، وأن هذه الحاجات تنمو مع نمو الطفل وتصبح حاجات مركبة.

بينما نجد أهم عواقب الحرمان لدى الطفل في سنواته الأولى، هو عدم قدرته على محبته للآخرين أو عدم إدراك مشاعر الآخرين نحوه والتعبير عنها، لأن فاقد الشئ لا يعطيه.

ولهذا تتجه الرعاية النفسية والاجتماعية في عملية التربية والتنشئة للأطفال إلى الاهتمام بهم داخل أسرهم. والأفضل للطفل أن يعيش ويتربى في وسط أسرته ذاتها. ولذا يجب التقليل من فرص نقل الطفل من بيئته الأسرية الطبيعية إلى مؤسسات أخرى تتكفل برعايته.

حيث أن الأسرة هي المحيط الطبيعي الذي يمكن أن يشبع حاجات الطفل النفسية مثل الحاجة إلى الحب والعطف والحاجة إلى الشعور بالأمن والاطمئنان والحاجة إلى الحرية والنجاح والتقدير. ففي ظل الأبوين وعطفهما الطبيعي تتكون الشخصية المتكاملة والسوية للطفل، وعليه تتجه معظم الهيئات الحكومية والأهلية المهتمة برعاية الطفولة إلى تقديم المساعدات الممكنة للآباء والأمهات، كي يتمكنوا من تأدية رسالتهم على أكمل وجه ولكي يمارسوا دورهم الطبيعي كآباء مسؤولين عن تنشئة الأجيال الصاعدة.

لكن هناك ظروفا تطرأ على الأسرة وتؤثر في تماسكها بحيث تفشل في تأدية رسالتها ولا تستطيع تحقيق الرعاية الكافية للأطفال. وهنا يصبح من الضروري أن يترك الطفل أسرته لينتقل إلى أسرة أخرى بديلة أو إلى ملجأ حكومي يقوم مقام تلك الأسرة.

ولهذا فالملاحظ أن الأطفال المودعين في الملاجئ ليسوا في الغالب غير شرعيين، بل ينتمون أيضا إلى أسر تعرضت للتصدع بسبب الطلاق أو بسبب تعرض أحد الأبوين أو كلاهما للأمراض المستعصية التي تعوقهم عن تأدية واجبهم. كحالات الأمراض العقلية أو الأمراض المزمنة، أو الوفاة مما يعرض الطفل اليتم ويصبح في حاجة أن تكفله هيئات اجتماعية غير أسرته.

كما أن تواجده داخل وسط مشكل أو متصدع أو متفكك، قد يعرضه لاضطرابات انفعالية والإهمال، ولهذا نشأت فكرة الأسر البديلة والمؤسسات الاجتماعية المتعددة التي تقوم برسالة بديلة ومكملة لرسالة الأسرة. وذلك لما تقدمه من وسائل العناية والرعاية التي تعوض ما فات هؤلاء الأطفال وما فقدوه من رعاية نفسية واجتماعية وتربوية بجانب حاجاتهم إلى العناية الصحية والمادية.

وفي هذا المجال تؤكد جميع الدراسات السابقة على أثر هذا النوع من التربية في النمو اللغوي، حيث أن الأطفال المودعين بالملاجئ، يبدون تأخرا واضحا في عدد الأصوات وكثرتها، وخاصة في نهاية السنة الأولى. ويكون محصولهم اللفظي أقل من مستوى المحصول اللفظي للأطفال الذين يعيشون مع أسرهم.وقد يستمر هذا التأخر ويدوم فيما بعد، ويلاحظ نفس هذا التأخر على الطفل في حالة ما تكون الأم غير متحدثة أي صامتة أو لديها صعوبة في النطق والكلام، أو تعاني من حالة الصم أو البكم.(14)

**7- دور اللعب في نمو وتطور الشخصية**

يحتل اللعب مكانة عظمى في حياة الطفل، بل انه الممارسة الهامة أثناء الطفولة، واللعب عند الطفل هو الجد بعينه، لانه الوسيلة الأساسية للتعلم واكتساب الخبرات وتجميع المعلومات. وتمثل رؤية كل جديد لدى الطفل متعة كبرى، إذ يبدو كما لو كان عالما جديدا، ويبدي الطفل اهتماما بالغا برؤية الصور، وحينما يستطيع الكلام يستهويه كثيرا سماع الأشياء التي تتضمنها هذه الصورة. ويسره أكثر أن تقدم له محتويات الصور في صيغة قصة لها معنى يرضيه. وتظهر في أواخر السنة الثانية ألعاب

المحاكاة والتقليد، فيحاكي الطفل أصوات الحيوان ثم يصنع مواقفا لغوية مختلفة يقلد فيها نفسه أولا، كأن يتصنع النوم والوقوع أو إعطاء شئ. ثم يقلد الآخرين كان يقرأ جريدة أو يقود سيارة أو يركب حصانا وهميا. كما يحاكي الألفاظ والعبارات التي يسمعها غير مهتم بها في حد ذاتها، بل وكأنها مجرد لحن صوتي يردده.

كما تؤثر الحالة النفسية للطفل تأثيرا كبيرا على نشاطه العقلي واللغوي، فإذا نظرنا إلى السمات المزاجية (الانفعالية) وارتباطها بالنمو اللغوي نجد أن الطفل القلق الخائف يتلعثم في النطق ولا يستطيع التعبير بوضوح عن الشيء المطلوب.(15)

**الدراسات السابقة**

تؤكد جميع الدراسات النفسية والتربوية في مجال الرعاية الوالدية داخل الاسرة وحتى وإن كانت غير مناسبة أفضل من أي رعاية أخرى تتصف بالرتابة والافتقار إلى علاقات الحنان بين الطفل ووالده. ذلك أن مشاعر الحب والعطف والحنان الذين يحيطون بالطفل خلال سنواته الأولى هم بمثابة الغذاء الروحي الضروري لنموه النفسي والانفعالي و الذي لا يقل أهمية عن الغذاء الضروري لنموه الفزيولوجي. وأن الأسرة المضطربة تنتج أطفالا مضطربين وأن كثير من اضطرابات الطفل ما هو إلا عرض من أعراض اضطراب الأسرة، والمتمثل في الظروف غير المناسبة وأخطاء التربية والتنشئة الاجتماعية. (16)

وسوف نقوم بعرض مجموعة من الدراسات العربية، والتي تناولت موضوع الرعاية الوالدية وعلاقته بنمو وتطور شخصية الطفل بالبحث العلمي الدقيق.

***1- دراسة املى صادق ميخائيل -1990-***حول القلق لدى الأطفال في الأسرة البديلة مقارنة بالأسرة الطبيعية.وتوصلت الدراسة إلى أن مستوى القلق لدى الطفل في الأسرة البديلة مرتفع جدا مقارنة بالطفل في الأسرة العادية.(17)

***2-دراسة صلاح الدين عبد العظيم –1990-***حول الآثار النفسية لغياب النموذج الأبوي في عملية التنشئة الاجتماعية.وتؤكد النتائج المتوصل إليها أن لغياب النموذج الأبوي عن الأسرة، عيوب كثيرة نذكر منها زيادة مهام دور الأم مما قد يغيب بعض الخصائص الانثوية في عملية التنشئة الاجتماعية، إلى جانب بعض مظاهر الاتكالية والانكفاء الاسري. (18)

***3-دراسة عبد المنعم عبد الله-1990-***حول حرمان الطفل من الوالدين وعلاقته بنموه اللفظي في مرحلة ما قبل المدرسة، حيث توصلت الدراسة إلى وجود فروق جوهرية في النمو اللفظي بين الأطفال المحرومين والأطفال غير المحرومين من الرعاية الوالدية لصالح الفئة الأخيرة.(19)

***4-دراسة ماجدة عبد الفتاح-1990-***حول النمو العقلي والجسماني للأطفال من سن1إلى 4 سنوات على ضوء تكوين الأسرة النفسي والاجتماعي. وتؤكد نتائج الدراسة على ظهور حالات سوء التغذية باستخدام الطرق الانثروبومترية المختلفة، وتأثير المستوى الاجتماعي على نمو الطفل في المجال الاجتماعي والشخصي والنمو الحركي

الكبير.(20)

***5-دراسة نفين مصطفى محمد-1990-***حول أثر العوامل الذاتية والأسرية والمجتمعية على انحراف الأحداث، وذلك بهدف دراسة العوامل الأسرية وتأثير البيئة الداخلية على الحدث ومدى انحرافه بالإضافة إلى العوامل الذاتية للحدث(الخصائص العضوية والعقلية والنفسية). وتوصلت الدراسة إلى أن انخفاض المستوى الثقافي والمادي يعكس أثره السيئ على الأحداث، بالإضافة إلى وجود سمات لديهم تميزهم عن الأفراد الأسوياء خاصة في الحالة الصحية العامة.(21)

***6-دراسة سلوى شوقي راغب-1991-***الحاجات النفسية لدى أطفال مؤسسات الإيواء وعلاقتها بالعدوانية.ومن النتائج التي توصلت إليها الدراسة نجد مثلا الحاجة الماسة إلى الأمن-الحاجة إلى الحب والعطف- الحاجة إلى التقبل من طرف الآخرين-والحاجة إلى الاستقلال.وفي المقابل ظهور السلوك العدواني المباشر وغير المباشر لدى أفراد العينة خاصة لدى الذكور وظهور السلوك العدواني اللفظي المباشر وغير المباشر.(22)

***7-دراسة عصام عبد اللطيف-1991-***حول أساليب التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بمستوى القلق لدى الأبناء (خاصة القبول أو الرفض الوالدي). وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية عكسية بين القبول الوالدي ودرجة القلق والعكس صحيح، أي كلما زاد التقبل الوالدي انخفض مستوى القلق.(23)

***8-دراسة علي فالح حمد-1991-***حول التنشئة الوالدية والسلوك الاجتماعي للأبناء في الريف والحضر. وأوضحت النتائج بأنه يتأثر سلوك المسايرة عند الأبناء إيجابيا بديمقراطية وحماية الأب وكذلك بتقبل واستقلالية الأم، ويتأثر السلوك سلبا بتسلط الأم. والاتجاه الذي يساهم به الوالدين معه في تشكيل هذا السلوك هو الديمقراطية، كما يتأثر السلوك إيجابيا باستقلالية وتقبل الأب وأيضا بديمقراطية الأم، كما يتأثر سلبا بحماية الأب.(24)

***9-دراسة فاطمة محمد الحسيني الشرقاوي-1991-***حول العلاقة بين ممارسة سيكولوجية الذات والتوافق النفسي والاجتماعي لتلاميذ الأسر ذات الطرف الوالدي الواحد، وتوصلت الدراسة إلى أن الآثار النفسية والاجتماعية اللاتوافقية للتلاميذ المترتبة على الحرمان من دور الأب بالوفاة سواء داخل الأسرة أو في المدرسة، وما يعترضهم من ضغوط تؤثر على توافقهم النفسي والاجتماعي.(25)

***10-دراسة علاء محمود جاد-1992-*** حول تأثير بعض عوامل التنشئة الأسرية والبيئة المدرسية المساهمة في النمو المعرفي في مرحلة العمليات الحسية على ضوء نظرية بياجيه. وكانت نتائج الدراسة تؤكد على وجود فروق جوهرية بين متغيرات حجم الأسرة والترتيب الميلادي والتباعد في الولادات ومستوى تعليم الوالدين والأساليب الوالدية في التنشئة وبين المفاهيم المعرفية والدرجة الكلية للنمو المعرفي.(26)

***11-دراسة فاتن السيد أبو صباع-1992-***حول مقارنة المشكلات السلوكية التي

يتعرض لها كل من أطفال مؤسسات الإيواء وأطفال قرى الأطفال S O S وجاءت نتائج الدراسة لتؤكد على أن الحرمان من الوالدين، يخلف وراءه العديد من المشكلات السلوكية كالتبول اللاإرادي، التأخر الدراسي، السرقة، الكذب. حيث أن الأطفال داخل المؤسسة الايوائية يظهرون "أنا" ضعيف ومضطرب، تسيطر عليهم مشاعر الدونية والوحدة والعزلة والقلق وظهور بعض الاضطرابات العقلية الأخرى.(27)

***12-دراسة منال محمد رضا-1992-***حول علاقة أساليب التنشئة الوالدية بالتنميط الجنسي لطفل ما قبل المدرسة، وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية موجبة بين أسلوب التسامح والتنميط الجنسي للأطفال ذكورا وإناثا، ووجود علاقة ارتباطية سالبة بين التشدد والإهمال والحماية والتنميط الجنسي للأطفال ذكورا وإناثا.(28)

***13-دراسة نادية حسين محمد-1992-***حول عوامل عدم الاستقرار الأسري وأثرها على السلوك الاجتماعي والاقتصادي لأطفال المدرسة الأساسية. وأكدت نتائج الدراسة على أن السلوك الاجتماعي السليم للأطفال الذكور والذين يتراوح سنهم ما بين 10و12 سنة يقل بانخفاض درجة المستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسرة، ويقل أيضا بانخفاض درجة الاستقرار الأسري. وان الخلافات الحادة يتضح تأثيرها على سلوك الأطفال والمستوى الاقتصادي والاجتماعي المنخفض عنه في المستوى المرتفع.(29)

***14-دراسة نعيمة صلاح عبد المعطى-1992-***حول مقارنة أثر الحرمان من الرعاية الأسرية على النمو وتطور ذكاء وسلوك عينة من الأطفال في مرحلة ما قبل السن المدرسي. وتوصلت الدراسة إلى وجود اختلافات شديدة المعنوية بين عينة الأطفال المحرومين من الرعاية الأسرية الطبيعية وذلك على مستوى جميع المقاييس الجسمية، ووجود اختلافات بين إنجاز أطفال الأسر الطبيعية للمهارات التطورية المختلفة، وأن نسبة ذكاء الأطفال المحرومين أقل من نسبة ذكاء أطفال الأسر الطبيعية، وأن التطور الاجتماعي الانفعالي يختلف اختلافا جوهريا بين العينتين لصالح أطفال الأسر الطبيعية.(30)

***15-دراسة ربيع شعبان عبد العليم-1993-***حول التكوين النفسي للأطفال المحرومين أسريا، دراسة عاملية في ضوء أنماط مختلفة من الحرمان (الوفاة والطلاق قبل وبعد خمس سنوات). وتوصلت الدراسة إلى وجود فروق جوهرية في مظاهر سوء التوافق- الاضطراب الانفعالي – العدوان الظاهر- العدوان المستتر—الاتكالية- الشعور بالنقص، وخاصة لدى أفراد العينة الذين حرموا قبل سن الخامسة.(31)

***16-دراسة السيد عبد العزيز الرفاعي –1994-***حول إساءة معاملة الطفل وعلاقتها ببعض المشكلات النفسية. وقد أوضحت النتائج بأن سوء المعاملة الأسرية 'الاهمال – التعذيب) تؤدي إلى ظهور بعض المشكلات النفسية، كالانسحاب-الاكتئاب-الوسواس القهري-فرط النشاط والعدوانية والجنوح.(32)

***17-ماجدة حسين محمود-1994-***حول سيكولوجية الأطفال في الأسر التي تصل

الخلافات فيها إلى القضاء -دراسة نفسية- وأكدت النتائج أن الأطفال الذين يعانون من المشاكل الأسرية يعانون من سوء التوافق النفسي ويسلكون السلوك المعقد غير السوي، كنتيجة للحرمان من الرعاية الأسرية والدفء العائلي أي طول فترة الخلافات بين الوالدين.(33)

***18-دراسة ايمان احمد طه-1995-***حول اتجاهات وممارسات الأسرة لاشباع حاجات الطفل الأساسية (الجسمية، العقلية والوجدانية)، وذلك من خلال دراسة بعض العوامل الانثروبولوجية، من حيث المستوى الثقافي والتعليمي-السن قبل وبعد الانجاب-العمل المهني-المستوى الاقتصادي والحالة الاجتماعية بالنسبة للأب والأم. وعلاقتها بنسبة الذكاء والتحصيل الدراسي وتكيف الطفل الاجتماعي والشخصي. وأثبتت النتائج وجود علاقات دالة إحصائيا بين تكيف الطفل الشخصي والاتجاهات الأسرية نحو إشباع حاجاته الجسمية والوجدانية والعقلية.(34)

***19-دراسة مايسة حسن حسن –1996-***حول بعض أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بتكيف الطفل في رياض الأطفال. وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين أساليب المعاملة الوالدية وتكيف الشخصي والاجتماعي في الروضة، واختلاف أساليب المعاملة الوالدية باختلاف المستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسرة واختلاف أساليب المعاملة الوالدية بين الأم العاملة والأم غير العاملة.(35)

***20-دراسة نادية بعيبع-1998-***حول أساليب التنشئة الاجتماعية وأثرها على النمو اللغوي. ومن ضمن النتائج الي توصلت إليها الدراسة أن النمو اللغوي للأطفال الذين تربوا في أسر طبيعية أكثر ثراء منه لدى الأطفال الذين تربوا بمؤسسات الايواء، إلى جانب وجود فروق جوهرية في نسبة الذكاء والدرجة الكلية للتوافق لصالح أطفال العينة الأولى.(36)

***21-دراسة سهيل كامل أحمد-1999-***حول الحرمان من الوالدين في الطفولة المبكرة وعلاقته بالنمو الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي. وتوصلت الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين نتائج أطفال الحضانة الايوائية ونتائج مجموعة الأطفال ذوي الأسر الطبيعية على النمو الجسمي من خلال رصد معايير الوزن والطول ومحيط الجمجمة مقارنة بالعمر الزمني، ووجود فروق جوهرية بين أطفال العينتين فالنمو العقلي من خلال نتائج مقياس الذكاء لصالح المجموعة الثانية وكذلك الأمر بالنسبة للنمو الانفعالي ونتائج التحصيل الدراسي.(37)

***22-دراسة سهير كامل احمد-1999-***حول الانفصال عن الأسرة في مرحلة الطفولة وعلاقته بمصدر الضبط والاكتئاب.وجاءت نتائج الدراسة لتؤكد مرة أخرى على وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات درجات عينة الأطفال المنفصلين عن أسرهم وعينة الأطفال ذوي الأسر البديلة على مقياس مصدر الضبط (المصدر الخارجي) والاكتئاب لصالح المجموعة الأولى.(38)

**جدول رقم (1) يوضح خصائص عينات الدراسات السابقة**

| رقم الدراسة | حجم العينة | سن العينة | جنس العينة | الأدوات المستخدمة |
|---|---|---|---|---|
| 1 | 40 | 12-9 | ذكور-إناث | -اختبار روجرز لدراسة شخصية الأطفال |
| 2 | 52 | 6-4 | " " | -المقابلة شبه المقننة |
| 3 | 80 | 3 | " " | -اختبار الإدراك السمعي والتغير اللفظي<br>-اختبار رسم الرجل |
| 4 | 500 | 4-1 | " " | -اختبارات التقييم العقلي العصبي<br>-اختبار وهز الاجتماعي |
| 5 | ب ذ | | | |
| 6 | 70 | 12-10 | " " | -اختبار الحاجات النفسية<br>-اختبار الذكاء المصور |
| 7 | 194 | 12-10 | " " | -استبيان قبول ورفض الوالدين<br>-مقياس القلق<br>-استمارة المستوى الاقتصادي والاجتماعي |
| 8 | 490 | 18-14 | " " | -مقياس الاتجاهات الوالدية في التنشئة<br>-مقياس السلوك الاجتماعي للأبناء |
| 9 | 24 | 12-9 | " " | -مقياس التوافق النفسي والاجتماعي<br>-تقارير دراسة الحالة |
| 10 | 579 | 11-7 | " " | -مقياس أساليب التنشئة الأسرية<br>-مقياس البيئة المدرسية<br>-اختبار نمو التفكير في المرحلة للعمليات الحسية |
| 11 | 12 | 12-6 | " " | -اختبار تفهم الموضوع<br>-اختبار رسم الرجل المقابلة |
| 12 | 104 | 6-4 | " " | -مقياس أساليب التنشئة الوالدية<br>-مقياس التنميط الجنسي المصور |
| 13 | 406 | 12-10 | " " | -استمارة دراسة الحالة الأسرية<br>-دليل تقدير الوضع الاقتصادي والاجتماعي<br>-استبيان أداء الأدوار في الحياة |
| 14 | ب ذ | 5-2 | " " | -الاستبيان<br>-المقاييس الانثروبومترية<br>-تقييم المهارات التطورية للطفل |
| 15 | 323 | 11-6 | " " | -مقياس الشخصية للأطفال<br>-مقياس التكيف الشخصي والاجتماعي<br>-مقياس القلق الظاهر للأطفال<br>-مقياس الاكتئاب للصغار |
| 16 | 60 | 12-10 | " " | -تقرير دراسة الحالة |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | | | | -المقابلة<br>-استمارة الطفل المعذب والمهمل<br>-اختبار الذكاء المصور |
| 17 | 98 | 12-9 | " " | -المقابلة<br>-اختبار الشخصية للأطفال<br>-مقياس أدراك الأطفال لصورة الوالدين |
| 18 | 485 | 12-6 | " " | -الاستبيان<br>-السجلات المدرسية<br>-اختبار الشخصية<br>-اختبار الذكاء |
| 19 | 240 | 6-3 | " " | -مقياس الاتجاهات الوالدية<br>-مقياس التكيف الشخصي والاجتماعي<br>-استمارة المستوى الاقتصادي والاجتماعي<br>-دليل دراسة الحالة |
| 20 | 120 | 12-7 | " " | -اختبار أوائل الكلمات للنمو اللغوي<br>-اختبار عين شمس للذكاء الاجتماعي |
| 21 | 43 | 4 | " " | اختبار ستانفورد –بنيه للذكاء<br>-مقياس فاينلاند للنضج الاجتماعي<br>-بطاقة تقديم طفل الروضة |
| 22 | 66 | 12-8 | " " | -اختبار مركز التحكم للأطفال<br>-مقياس الاكتئاب للصغار |

**مناقشة وتحليل نتائج الدراسات السابقة**

بادئ ذي بدء نلاحظ تأكيد جميع الدراسات السيكولوجية في مجال الرعاية وأساليب التنشئة الوالدية على أهمية هذه الرعاية في تشكيل وتطوير وتوجيه سلوك الطفل المستقبلي.

إن العلاقة الوثيقة بين الوالدين على حد سواء والأبناء، والمتميزة بالدفء والحنان والعطاء في ظل الإشباع الجسمي والوجداني والعقلي من شأنه أن يساعد على تحقيق نمو طبيعي وسوي للطفل، على عكس العلاقة التي تتميز بالحرمان العاطفي والإهمال النفسي والتي من شأنها أن تمهد إلى حياة غير طبيعية وغير سوية تنعكس سلبا على جميع جوانب النمو المختلفة، ويدخل الطفل في دوامة من مشاعر القلق والتوتر المستمرين، و"أن من أهم عواقب حرمان الطفل من العطف والحنان والمحبة والتي يمنحها الوالدين له في سنواته الأولى، هو عدم قدرته على محبة الآخرين وتلقيه المحبة منهم فيما بعد".(39)

إن الأمن العاطفي شرط أساسي لانتظام حياة الطفل النفسية واستقرار مشاعره الاجتماعية ونضجه من الناحية الجسمية والعقلية.وفي هذا المجال يؤكد العلماء

المختصون في مجال الرعاية الوالدية على "أن الشخصية هي نتاج لتأثير البيئة على الصفات الفطرية لدى الفرد، مما يجعلها نتاجا مشتركا لهذين العاملين، حيث أنه هناك علاقة بين البناء الاجتماعي والسلوك مما يجعل وسائل اكتساب السلوك لدى الطفل وكذلك طرق تدريبه يتشكلان وفقا للواقع الاجتماعي والثقافي".(40)

ويستمد الطفل ثقته بنفسه وبالمحيطين به من ثقته بأمه والتي تبدأ منذ مرحلة الرضاعة، "أن تناول الرضيع وتدليله وهزه يمده بكثير من المتعة ويسهم في إيجاد تعلق إيجابي بينه وبين أمه...فالأم مصدر متعة ولها قيمة اثابية، فهي مصدر الغذاء والاتصال اللمسي والتخفيف من الألم والدفء، ومن خلال هذا كله تتكون الاتجاهات الأساسية نحو الأم، وهذه الاتجاهات إما أن تكون إيجابية أو سلبية أو مزيجا متصارعا من الإيجابية والسلبية. وقد يقوم الطفل فيما بعد بتعميم هذه الاتجاهات في استجاباته الاجتماعية."(41)

ولقد دلت الدراسات السابقة على أنه كلما كان ضبط سلوك الطفل وتوجيهه قائما على أساس الحب والثواب أدى ذلك إلى اكتساب السلوك السوي والسيطرة بطريقة أفضل على ضبط سلوك الطفل ونمو مشاعره بالإثم عندما يقوم بسلوك غير ملائم وكلما اتسمت علاقة الوالدين بالفتور والإهمال والعقاب أدى ذلك إلى بطء نمو الضمير لديه.(42)

ويؤكد علماء النفس على الأهمية البالغة للعاطفة المتبادلة بين الطفل وأمه والتي تنشأ منها نفس العلاقات بين الطفل وأبيه، بين الطفل واخوته، بين الطفل وجميع المحيطين به في حياته الاجتماعية الواسعة.

إن الحرمان من هذه العلاقة الطبيعية يؤدي وبدون تحفظ إلى ظهور مشكلات نفسية واجتماعية لا توافقية في سلوك الطفل الحالي والمستقبلي.

أوضحت الدراسات السابقة أيضا ظهور حالات من انحراف الأحداث كنتيجة مكملة لبعض الخصائص الفردية لشخصية الحدث، بسبب افتقاد هؤلاء إلى الحب والأمن والآمان خلال مرحلة طفولتهم.

من نتائج الدراسات السابقة أيضا أن حرمان الطفل من والديه سواء بسبب الوفاة أو الطلاق، يؤثر كثيرا على شخصيته وطباعه وتطوره العقلي والانفعالي والاجتماعي، والتي قد تمتد وتستمر مدى الحياة وتؤثر على اختياراته الاجتماعية (الزواج مثلا) والمهنية (علاقاته مع رؤسائه أو مرؤوسيه) وصحته النفسية بصفة عامة.

إن جوهر الشخصية يتشكل من خلال شعور الطفل لمعاملة والديه واخوته وأقاربه، باعتبارهم العالم الاجتماعي الأول له في هذه المرحلة، ذلك "أن مفهوم الطفل عن نفسه كشخص يتكون من داخل رحم العلاقات العائلية."(43)

إن التباين في النمو النفسي والاجتماعي للأطفال، وكما هو واضح من خلال الدراسات السابقة، يرتبط ارتباطا وثيقا بنوعية العلاقة بين الطفل ووالده، حيث تمكنه من ادراك مكانته الاجتماعية من ناحية وتحدد علاقاته بالنسبة للآخرين من ناحية أخرى.

بينت الدراسات السابقة أيضا أهمية وجود وإشراف كلا الوالدين على عملية التربية،

مما يمكن الأبناء من اكتساب خصائص واتجاهات متنوعة ونمطية (خصائص انوثة- وخصائص ذكورة)، وكيف يؤثر غياب الأب بسبب (الوفاة –الطلاق-العمل خارج الوطن..الخ) على الحالة النفسية للأبناء وعلى عملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية ككل. كما أن حرمان الأبناء من أحد الوالدين له دلالته في نموهم الانفعالي والصحي أيضا.

أكدت الدراسات السابقة على أهمية الرعاية الوالدية على النمو المعرفي بصفة عامة وعلى الذكاء بصفة خاصة، حيث وجدت فروقا دالة بين الأطفال الذين تربوا مع أسرهم والأطفال الذين تعرضوا إلى أساليب الرعاية البديلة لصالح الفئة الأولى، وإذا ما اعتبرنا النمو اللغوي مظهرا أساسيا للنمو العقلي وتطوره المعرفي، نجد أن العلاقة واضحة بين الذكاء والنمو اللغوي، فضعاف العقول يبدأون الكلام متأخرين عن الأطفال العاديين، والعاديون يتأخرون في ذلك عن الأذكياء. وليس معنى هذا أن كل طفل يتأخر في الكلام لابد وأن يكون ضعيف العقل أو غبيا، إذ أن هناك عوامل أخرى تتدخل في التأخر اللغوي غير الذكاء. وللطفل صاحب القدرة العقلية الممتازة مميزات تتصل بقدرته على الملاحظة وإدراك العلاقات، وفهم المعاني وإدراك الفروق التي بين المعاني المختلفة. وهي عوامل كلها تساعد على النمو اللغوي.

وقد تظهر أهمية الذكاء بالنسبة للنمو اللغوي في ناحية البدء بالكلام خاصة. ومن خلال دراسة على مجموعة من الموهوبين، وجد أن الذين يتمتعون بنسبة ذكاء أعلى من 140 % يسبقون العاديين في الكلام بحوالي أربعة أشهر، وان الضعف العقلي يصحبه تأخر ملحوظ في النمو اللغوي، على أن هذا لا يعني أن كل تأخر في الكلام معناه تأخر في الذكاء، كما سبق وأن أشير إلى ذلك، كما يظهر تأثير الذكاء في اتساع الحصيلة اللغوية، وقدرة الطفل على استخدام كلمات أكثر وفهمه لكلام الغير وأحاديثهم.

كما بينت **هيلين لويس**، Helin LEWIS في دراسة لها حول الطفولة التي تتعرض إلى الحرمان وعدم الاستقرار العائلي. أن معظم الأطفال موضع الدراسة كانوا يحصلون على نتائج طيبة إذا ما اختبروا باختبارات غير لفظية، وبالعكس إذا استخدمت اختبارات لفظية. وهذا دليل موضوعي على أثر كل من التربية الأسرية السليمة والتربية داخل الملاجئ على النمو اللغوي للطفل.(44)

وإن كانت الملاجئ و مؤسسات الإيواء، مؤسسات اجتماعية تشرف عليها وزارة الشؤون الاجتماعية ووزارة الصحة، بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم بالنسبة للنواحي التعليمية الخاصة بالمودعين فيها، وتتكفل بالرعاية البديلة التي تهدف عموما إلى توفير العناية الاجتماعية والنفسية والصحية والمهنية للأطفال الذين قست عليهم الظروف وحرمتهم من الحياة مع أسرهم الحقيقة-ومع تسليمنا بأهمية الرعاية الوالدية- إلا أن المجتمعات قد تواجه بظروف تجعلها تلجأ لمثل تلك المؤسسات التي قد تشمل أبناء الأسر المتفككة نتيجة لكارثة من الكوارث الطبيعية أو وفاة أحد الوالدين أوكلاهما معا، أوفي حالة الأمراض المزمنة، وقد توفر إمكانات مادية أفضل من تلك الإمكانات المتوفرة لدى الأسر الفقيرة، تبقى الحاجة الطبيعية للحب والعناية والشعور بالانتماء ...الخ أمورا غير متاحة في مثل هذه المؤسسات مما يؤثر سلبا على نمو نزلائها.

ولقد أشارت بعض الدراسات إلى أن لعامل المستوى الاقتصادي والاجتماعي

والثقافي للأسرة تأثيرا على نمو وتطور شخصية الطفل، فإذا ما نضجت المراكز العصبية وتبلور النمو الانفعالي و الاجتماعي واستطاع الطفل الكلام والتعبير، اعتمد بعد ذلك نمو شخصيته وتطورها وتفتحها أو العكس على نوع الحياة الاجتماعية التي يحياها. ويعني بذلك المثيرات البيئية التي يعيش فيها وموقف الأفراد الذين يتعامل معهم، فالأطفال الرضع من أسر الطبقات العاملة كانوا يصدرون أصواتا بدرجة أقل من رضع الأسر التي تنتمي إلى الطبقات المتوسطة مثلا. ونجد أيضا فيما بين العام الأول من العمر والعام الخامس يكون أطفال الطبقات المتوسطة والعليا أكثر تفوقا في كل جوانب السلوك اللغوي، عن أطفال الطبقات الدنيا، وخاصة في الاختبارات التي تكون مشبعة لحد ما بالمهارات اللغوية. (45)

كما أن الطفل الذي ينشأ في بيئة مريحة، مجهزة بوسائل التربية ويكون أبواه متعلمين، تكون له فرصة أكبر في اكتساب عدد كبير من المعلومات، وتكوين عادات لغوية وانفعالية واجتماعية صحيحة، بعكس الطفل الذي يعيش في بيئة فقيرة، وهذا حتى في حالة تساويه مع الأول في درجة الذكاء.ويقصد بالمستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي للأسرة بصفة عامة، جملة النشاطات والممارسات الثقافية التي يقوم بها كل من الأبوين، والتي لها أثر على نمو الطفل داخل الأسرة وخارجها، والتي يعبر عنها في مقياسه للمستوى الثقافي للأسرة من خلال الأبعاد التالية : درجة تعلم الأب ودرجة تعلم الأم، ووسائل الثقافة المتوفرة في المنزل، وعناية الوالدين المباشرة بثقافة الأبناء التي تتجلى في تشجيع الأطفال على النشاطات الثقافية، ومستوى عناية الوالدين غير المباشرة والتي تتجلى في مدى اهتمام الوالدين بالنشاطات التلقائية، وانعكاس ذلك على حياة الأسرة وحياة الفرد والمجتمع فيما بعد.

**الخـاتمة**

من خلال التراث الأدبي لموضوع الرعاية الوالدية وأهميتها في عملية التنشئة الاجتماعية ومن خلال عرض ومناقشة نتائج الدراسات السابقة، يتبين وبوضوح أهمية قيام الأباء بمسؤولياتهم الكاملة تجاه الأبناء، وذلك ابتداء من عملية اختيار الزوج أو الزوجة، وصدق رسول الله –صلى الله عليه وسلم حينما قال:"تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس."(46)

ويؤكد ابن خلدون في مجال التنشئة الاجتماعية للطفل فيقول يستحسن ألا يتعلم الطفل القرآن من حداثته، وذلك لقلة إدراك الصغار وفهمهم بما فيه من معان سامية،... وإن القسوة والشدة في معاملة الأطفال الصغار تدعوهم إلى المكر والخبث والخديعة (47).

ويؤكد ابن سينا في نفس المجال على أنه يجب على والد الصبي أن يبعده عن مقابح الأفعال، ومعايب العادات بالترهيب والترغيب والتوبيخ، فإن احتاج إلى الضرب فليكن، وإذا وعى سمع الصبي، فإنه يلقن معالم الدين وحفظ القرآن الكريم...، فإذا فرغ منه وحفظ قواعد اللغة تعلم الصناعة التي تناسب طبعه...، وإذا كسب الصبي من صناعته

فإنه يزوج لكي لا تتلاعب به الشهوات.(48)

إن التراث المعرفي الإسلامي خاصة، غني بالنماذج التربوية الصحيحة في مجال الرعاية الوالدية بالأبناء، والتنشئة الاجتماعية بصفة عامة، ونحن وفي هذا الوقت بالذات اشد حاجة ومن أي وقت آخر إلى تمسك الأسرة بالتعاليم الدينية، كي لا تضيع في معارك وهمية ثمنها الوحيد فلذات أكبادنا.

## الهوامش

1. عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب-1997-التربية الإسلامية المعاصرة في مواجهة النظام العالمي الجديد-دار الفكر العربي-القاهرة-مصر-ص9
2. علاء الدين كفافي-1999-الإرشاد والعلاج النفسي الأسرى-دار الفكر العربي-القاهرة-مصر-ص98
3. سهير كامل احمد-1999-سيكولوجية نمو الطفل-مركز الإسكندرية للكتاب-الإسكندرية- مصر-ص5
4. نفس المرجع-ص10
5. نفس المرجع-ص12
6. اسامة كامل راتب-1997-الإعداد النفسي بتربية الناشئين-دار الفكر العربي –القاهرة-مصر-ص84
7. سورة الأعراف الاية189
8. سورة الروم الاية 21
9. الفت محمد حقي-1986-سيكولوجية النمو-دار الفكر الجامعي-الإسكندرية-مصر-ص124
10. احمد منصور النكلاوي-1986-الوضع التعليمي للطفل في دول الخليج العربي في ضوء الإعلان العالمي عن حقوق الطفل-دراسة تحليلية تقويمية-مكتب التربية العربي لدول الخليج-الكويت – ص86
11. عطوف محمود ياسين-1981-مدخل في علم النفس الاجتماعي-دار النهار للنشر-بيروت-لبنان-ص43
12. احمد محمد عبد الخالق-1993-أصول الصحة النفسية-دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية-مصر-ص85
13. نادية بعيبع-1998-أساليب التنشئة الاجتماعية وأثرها على النمو اللغوي، دراسة ميدانية-ورقة عمل مقدمة منشورة بكتاب عروض الأيام الوطنية الثلاثة لعام النفس وعلوم التربية 25.26.27. ماي 1998 حول علم النفس وقضايا المجتمع الحديث-الجزء الأول-منشورات جامعة الجزائر-الجزائر-ص.446،422
14. نفس المرجع السابق-ص446،422
15. انتصار يونس 1970 -الأسرة وسلوك الطفل -مطبعة جامعة الإسكندرية -مصر-ص.122.
16. سهير كامل احمد –1999-أساليب تربية الطفل بين النظرية والتطبيق-مركز الإسكندرية للكتاب-الإسكندرية-مصر-ص.13.
17. نفس المرجع –ص.ص.284،283
18. نفس المرجع – ص.ص.293،292
19. نفس المرجع –ص.295
20. نفس المرجع –ص.298
21. نفس المرجع- ص.ص.304،303
22. نفس المرجع – ص.ص.318،317
23. نفس المرجع – ص.ص.321،320
24. نفس المرجع – ص.ص.322،321
25. نفس المرجع – ص.ص.323،322

**26.** نفس المرجع – ص.ص.337،338
**27.** نفس المرجع – ص.ص. 337،339
**28.** نفس المرجع –ص.339
**29.** نفس المرجع –ص.343
**30.** نفس المرجع –ص.349
**31.** نفس المرجع – ص.ص.354،355
**32.** نفس المرجع – ص.ص.373،374
**33.** نفس المرجع-ص.388
**34.** نفس المرجع – ص.ص.405،406
**35.** نفس المرجع – ص.ص.434،435
**36.** نادية بعيبع- ص.ص.422،446
**37.** سهير كامل احمد –1999-الصحة النفسية والتوافق-مركز الإسكندرية للكتاب-3-الإسكندرية-مصر- ص.ص.163،200
**38.** نفس المرجع – ص.ص.208،233
**39.** سهير كامل احمد-مرجع سابق-ص15
**40.** رمضان محمد القذافي-1998-الصحة النفسية والتوافق-المكتب الجامعي الحديث-الإسكندرية-مصر-ص.98
**41.** سهير كامل احمد-مرجع سابق-ص272
**42.** نفس المرجع-ص.273
**43.** نفس المرجع-ص.231
**44.** سعيد مرسي احمد وآخرون-1991-تربة الطفل قبل المدرسة-علم الكتب-القاهرة –مصر-ص.122
**45.** نادية بعيبع-مرجع سابق- ص.ص.422،446
**46.** حديث شريف
**47.** محمود السيد أبو النيل-1984-علم النفس الاجتماعي (دراسات عربية وعالمية)-ج 1-ط3-الحجاز المركزي للكتب الجامعية-مصر-ص.71
**48.** نفس المرجع-ص.72. □